دار الفقيه المقاوم

العمل السياسي عند المسلم وتربية الذات

سماحة آية الله المجاهد الشيخ عيسى أحمد قاسم «دام ظله»

نسخة خاصة بـ:

المؤتمر الدولي لتكريم شخصية سماحة

آية الله المجاهد الشيخ عيسى احمد قاسم



أسوة
الفقاهة والمقاومة
اسوه فقاهت و مقاومت

العمل السياسي عند المسلم وتربية الذات

سماحة القائد آية الله المجاهد الشيخ عيسى أحمد قاسم «دام ظله»

المؤتمر الدولي لتكريم شخصية سماحة آية الله المجاهد الشيخ عيسى احمد قاسم (دام عزه)

همايش بين المللى نكوداشت حضرت آيت الله شيخ عيسى احمد قاسم (دام عزه)

دار الفقيه المقاوم
حفظ ونشر آثار آية الله قاسم

جائزة المصطفى ﷺ العالمية | 4 |
چهارمين دوره ى جايزه ى جهانى المصطفى ﷺ

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

العمل السياسي عند المسلم
وتربية الذات

أولاً: العمل السياسي دور رسالي

١- العمل السياسي عند المسلم جزء من دوره الرسالي المتعدّد الجوانب، ومسؤوليته الدّينيّة الواسعة.

فهو ليس مشتهى ولا هواية ولا خاضعاً للكيف، للمسلم أن يأخذ به اليوم ويتركه غداً.

٢- والعمل الرّسالي هدفه محدّد من الرّسالة نفسها وهدفها، وليس متروكاً لاختيار الإنسان.

٣- وما هو هدف الرسالة، والدور السّياسي المنبثق منها هو الإنسان في مضمونه الداخلي، وأوضاع خارجه.

والمنظور الأول للرسالة الإسلاميَّة والدور السّياسيّ الذي تدعو إليه هو الإنسان داخلاً بمضمونه الفكريّ والروحيّ والشعوري، وبنوع إرادته، ودرجة إرادته، وما يتعلق به شوقه وطموحه من هدف، وما عليه استعداد نفسه من الاستقامة على طريق الأهداف الكبيرة البناءة النبيلة، ليأتي هذا الإنسان في صياغة داخله كما يريده الإسلام صالحاً سويَّاً قويَّاً منتجاً خيراً لنفسه، ولمجتمعه، ولدنياه وآخرته.

واهتمام الإسلام بصلاح الأوضاع الخارجية من فرديّة

واجتماعيّة بمختلف أنواعها وجزئياتها مطلوب من أجل سلامة ذات الإنسان ومن أجل أن يجد من صلاح هذه الأوضاع وسلامتها البيئة التي تساعده في نموّه وتكامله وراحته في الدنيا وسعادته في الآخرة.

يدخل في ذلك الوضع الصحيّ ونظافة البيئة الماديّة، والحالة الاقتصادية، والشأن الاجتماعي والثقافي والسياسيّ وكلّ ما تتأثر به راحته وسعادته ويتيح له أن يسلك طريق رقيّه، وسموّه، وتكامله.

٤- وأساليب العمل الرسالي بما فيه ممارسته للدّور السياسيّ مفتوحة لا يؤطرها إلا أن تكون مباحة في شريعة الله، وملائمة للزمان والمكان والمناسبات الخاصّة والظروف القائمة. ذلك من أجل المصلحة الرسالية وما يلتقي معها من مصالح سياسية فيها نفع المجتمع الإنسانيّ ونفع أفراده.

٥- وإذا كان الهدف من العمل السياسي في الإسلام هو الإصلاح والبناء الصالح نتج أن ليس مُصلحاً مَنْ مارس هذا العمل رافضاً ظلم الغير له، وقبل ظلمه للغير، ومَنْ أثاره سلبُ حقّه وهان عليه أن يَسلبَ حقاً من حقوق الآخرين.

وليس مُصلحاً من آلمه نشر الفساد السياسيّ وممارسة الآخرين له، وهان عليه أن يمارسه هو ويجري على يده.

وليس مصلحاً من استساغ أن يضرّ بثروة من الثروات

المحترمة التي بنتها الأوطان ثروة عامّة كانت أو خاصّة.

وليس مصلحاً من باع شبراً من أرض وطنه، أو مكّن منه لطامع.

وليس مصلحاً من هان عليه أن يتمزّق شمل شعبه، أو أمته، وأن يدخلهما في الفتن الطاحنة.

وليس مصلحاً من حقّق إصلاحاً ظاهريّاً، ولكن ليستعليَ ويطغى ويُعبد.

وليس مصلحاً من كان على يده إصلاح ظاهر الدّنيا، وأفسد داخل الإنسان وحجب هَدْي الدّين وخير الآخرة عنه.

هذا على فرض أن يتحقق للناس نوع من الصلاح في حال إقصاء الدّين وتغييبه وفساد بنية الإنسان والإنفصال بين الدّنيا والآخرة وهذا أمر لا تحقّق له في غياب الدّين، وفساد الإنسان ونسيان الآخرة.

وليس مصلحاً -الإصلاح المطلوب وإن كان مصلحاً بمقدار- مَن وُفِّقَ لإصلاح شأن دنيوي أو أخرويّ ثم وقف عن مواصلة الإصلاح في نقطة من الطريق وهو يستطيع مواصلة مسيرة الإصلاح الذي لا ينقطع.

وليس مصلحاً -الإصلاح المطلوب وإن كان مصلحاً بمقدار-

من شحّ على غير مجتمعه بمساهمته في الإصلاح لأوضاعه ما دخل ذلك في مستطاعه، وكان له في ذلك سبيل كان ذلك المجتمع الآخر من المجتمع القريب أو البعيد.

وليس مصلحاً ولا مؤهّلاً لأن يُصلحَ من دخل عملية الإصلاح وهو يجهله، أو لم يُعدّ العدّة لما يريد.

وليس مصلحاً من أظهر دوراً جهاديّاً متميزاً في الظاهر، ولكن كان ذلك من منطلق حُبّ الذكر في النّاس والظهور؛ إذ أن هذه النفسية كاشفة عن غياب حقيقي لروح الإصلاح واحترامه وتقديره في نفسه، وأنّها تعاني من فساد لا يؤمن أن تتحول به الأوضاع على يدها كلُّها إلى فساد.

وليس مصلحاً من جامل أو لاين أو تشدّد أو تعصّب على حساب الوصول إلى حالة الإصلاح وتحقيقه واستمراره، أو كان ذلك منه منافياً لما هو إصلاح بحقّ.

وليس مُجيداً في سعيه للإصلاح من وجد طريقاً أيسر أو أربح أو أسرع للإصلاح فسلك غير هذا الطريق إليه.

وليس مصلحاً من اختار باسم طلب الإصلاح وسيلة مما حرّم الله في سعيه إليه.

وليس مصلحاً من وجد وسيلة من الوسائل المسهّلة للوصول

إليه، وكانت ممكنة، فلم يسع لطلبها استعانة بها لفتح الطريق. والمعنيُّ من هذه الوسيلة ما كانت منسجمة مع خطٍّ الإصلاح الذي يدعو إليه العقل والدّين لا ما كان بينها تنافٍ وتنافر.

وليس مصلحاً من قرّب من الكفاءات ما هو أدنى على ما هو أعلى مستوى لقرابة أو صداقة مثلاً، سواء في مرحلة طلب الإصلاح والسعي إليه، أو مرحلة تطبيقه وتفعيله.

وليس مصلحاً من حاول ليحُول أن يتحقق إصلاح على يد غيره كراهةَ أن يظهر خير على يدٍ على غير يده فتنال ذكراً جميلاً في الناس حسداً من نفسه.

وليس مصلحاً من ملأ أيَّ موقع من مواقع حركة الإصلاح في مرحلة طلبه أو ممارسته وتفعيله لخطّته فوجد في نفسه جبناً أو تهوّراً، أو وقوعاً متكرراً في الخطأ في التقدير للأمور ممّا يضرّ بالحركة فأصرّ على بقائه في موقعه مقاوماً أن تملأه كفاءة أعلى من كفاءته، أو لم يقدّم غيره ممّن هو أكفأ منه.

وليس مصلحاً من أسّس لمنهج الإرهاب أو شجّعه وثبّته ونشره باسم طلب الإصلاح وإنجاح طلبه؛ لكون هذا المنهج من أشدّ أنواع الفساد وأبشعه.

الإسلام شرع الحرب لمواجهة الإرهاب، وهي تختلف عنه

وتباينه. الإرهاب إزهاق للنفوس المذنبة والبريئة، واستخفاف عظيم بقيمة الحياة، وهدر للدماء في تعطّش مجنون، ونشر للرعب في كل النفوس بلا استثناء لمدنيٍّ ومحارب، ومن غير تفريق بين ساعة من ليل أو نهار، وبين حالة عدوان أو صلاة، وبين مكان وآخر.

وهو قائم على التكفير الذي يكفي عند الإرهابيين لرمي أي إنسان به للاختلاف في مسألة من مسائل الاجتهاد، وأين هذا كله من ضوابط الحرب وأخلاقياتها وأسبابها ومستوى القيادة المعطاة حقَّ القرار بها وتطبيق أحكامها كما هي عليه صورتها المشرعة في الإسلام؟!

نعم ليس مصلحاً من استنَّ سنة الإرهاب متستراً بشعار طلب الإصلاح أو الإنتصار للإسلام.

وليس مصلحاً من استبدّ برأيه في طريق طلبه الإصلاح، أو في مرحلة إقامته، ولم يشاور الآخرين ولم يستعِن في الأمر بعقولهم وما هم عليه من خبرة، معرضاً عن كل رأي غير رأيه.

ليست من النفسيّة الإصلاحية تلك النفسية المستكبرة المستعلية على سماع رأي الغير، ولا تريد أن تستفيد منه، وترى في صاحبها أنه الرأي الأوحد والذي لا يخطئ أبداً.

وثم إنّ شخصاً مهزوزَ الرأي ليست له ثقة أيُّ ثقة برأيه، فيغيره

لأدنى رأي يقف في وجه رأيه، أو تشكيك في صلاحه لا يمكن أن تنجح على يده حركة الإصلاح.

وليس مصلحاً من غلب على نفسه التشاؤم وانطبعت بطابعه، أو التفاؤل المفرِط بحيث يؤثر هذا أو ذاك على موضوعيّة النظرة للمقدمات والنتائج المترتبة عليها فيما يتعلق بحركة الإصلاح؛ الشيء الذي يعطلها، ويحدث لها التردّد الكثير، أو يدفع بها في طريق التهوّر والانهيار.

وليس مصلحاً بقادر على الإصلاح من لا يملك مواجهة شجاعة قويّة لنفسه فيما خافت ورهبت، وفيما رغبت وطمعت، واستكثرت واستقلّت؛ ممّا يسبّب لها فساداً يخرج بها عمّا هو الحق، وما هو الخيار الصحيح في نظرها للعلاقات والأشخاص والأحداث والتعامل مع هذا وذاك.

ومغرور جدّاً من ذهب به وهمه أن الإصلاح لا يتمّ إلا به، وأنه إنّ تمّ ما كان له أن يتمّ لو لا هو.

ومعرَّض للإحباط الشديد من حسب بأنه قادر على إرضاء الجميع، وأنه لن يتعرّض لنقد خاطئ أو مصيب من عامل للإصلاح أو متفرّج من قريب أو بعيد.

ومعرَّض مثلَه للإحباط من عظم طموحه، وارتفعت سقوف

مطلبه وضؤل إمكانُه، وقلَّ جهدُه، ولم يسع لتطوير ما يملك من أسباب النجاح؛ ليوازي ما عليه طموحُه. ومثل هذا الطامح القاصر والمقصّر يُخاف عليه من الصّدمات النفسيّة الخطيرة، والانتكاسات الحادّة، واليأس المقعد القاتل.

وواهم الوهم المضيِّع من ملك أسباب إصلاح كبير أو صغير، في أيّ مساحة من مساحات الفساد وحكم على نفسه بالعجز، ورأى في ما أمكنه استحالة.

وليس من رُشدِ مصلح، ولا من صالح مطلب الإصلاح الذي ينشده للنّاس أن ييؤسهم، أو يطمعهم، ويعدهم بنصر كبير أو سريع غير مقدور من غير حكمة وغرض صحيح مدروس.

تسهيل ما هو صعب، وتصعيب ما هو سهل، وتقريب ما هو بعيد، وتبعيد ما هو قريب في خطاب المصلح لمن يريد لهم الإصلاح -حين يكون الخطاب جزافيّاً وبعيداً عن الحكمة النافعة- مورّط للمصلح، وضارّ بحركة الإصلاح، وخادع لطلاب الإصلاح ممّن يسمعون لهذا الخطاب، ويبنون عليه في حركتهم له.

ثانياً: المسلم السياسي وإعداد الذات

في ضوء ما هي عليه عملية الإصلاح من تعقيدات، وما يطلب في السّاعين للإصلاح وما يكتنف الطريق إليه من صعوبات، وما يعترض الوصول إليه من موانع، ويقف في وجهه من عوامل وأطراف مضادّة قبل تحقق له وبعد تحقق توّجب الإعداد المكثف المركّز الثقيل للمتصدّين لمهماته، وتحمّل كلفته.

والمعنيّ بالمسلم المتوجّب عليه إعداد نفسه للإصلاح هو المسلم الفرد، والمسلم الجماعة، والمسلم المجتمع، والمسلم الأمّة؛ فالكل مطلوب له الإصلاح ويتحمل مسؤوليته ومسؤولية التحرك الناجح في سبيل تحقيقه.

وكلّ سياسي -مسلماً كان أو غير مسلم- له إعداد، والسياسي المسلم بخصوصه له إعداد وإعداده متميز.

فالإعداد مشترك، ومتميز؛ الأول عام للسياسي المسلم وغيره، والثاني لخصوص السياسي المسلم.

١ــ الإعداد المشترك:

مطلوب على مستوى هذا الإعداد:

١) التوفّر على خبرة موضوعية مستوعبة بأكبر قدر ممكن

على مقتضيات الزمان والمكان، وما يعين من ظروفهما على تحقيق الهدف وما يضادّه منها، وطبيعة القوى والصراعات والمصالح المتضادّة التي تعيشها الساحة المحليّة والقريبة والبعيدة المؤثّرة، وطرق النجاح المتاحة والمغلقة، ومفاتيح حلّها التي يمكن للمُصلحين حسب تصنيفهم لأنفسهم أن يتوصّلوا إليها.

٢) التوفّر على خبرة سياسيّة موازية لحجم ما يرونه من حركة إصلاحيّة، وحجم أهدافها، ومتناسقة مع ما عليه سعتها ومداها والرقعة المكانية المستهدفة لها بالعملية الإصلاحيّة التي تتبناها.

خبرة سياسية تستعين بتجارب الآخرين، وخبرة الحاضر والماضي للنماذج الناجحة، وتدعمها الخبرة الشخصية الميدانية للمتصدّي للإصلاح المصحوبة منه بالملاحظة الشديدة والنقد الجريء لآرائه وإخفاقاته، والتدقيق العميق فيها.

٣) الثقافة الكافية بالمبدأ الذي ترتبط به الحركة الإصلاحية المتصدّي لها هذا الطرف أو ذلك الطرف كان فرداً أو جماعة حتى لا يفلت مسار هذه الحركة عن قاعدته ويتنكّر لها.

٤) الإخلاص لهذا المبدأ حتّى لا يكون نصيبه ممّن يرفعون

شعار الإصلاح باسمه ومن حركتهم أن يُستغل فحسب لربح المكاسب الشخصية، ثم تحسب عليه نتائج الفشل.

٥) سِعة الصدر إلى جنب الحزم والتمسك بالرأي المطمئِن إلى جدواه وحقانيّته، دون أن يمنع هذا التمسُّك من الدخول في أيّ حوار ذي قيمة، ويتسبَّب لصاحبه لحالة من الإنغلاق التي تنتج العزلة.

٦) طول نفسٍ، وقوة صبرٍ تسمح بمواصلة الطريق.

٧) نظرة موضوعيَّة لا مفرطة في التشاؤم أو التفاؤل إذ أن الأولى مُقعدة، والثانية مغرِّرة، وتسبِّب التساهل وعدم الجدّ في الطلب.

٨) قدرة حواريَة واحتجاجيَة بما هو حقٌّ ومنطقيَ، وحتَى قدرة جدليَة تستعين بمسلَمات الآخر رغم عدم حقَانيَتها ودقَتها في نفسها، وإن كان المسلم لا يلجأ إلى مسلّمات الطرف المقابل إلا عند الضرورة؛ وذلك عندما يوغل في العناد للأدلَة الحقيقيّة.

٩) الشجاعة النفسية وعدم التهيُّب الوهمي.

هذا بعض ما يطلب في الإعداد المشترك .

٢ـ الإعداد الخاص بالسياسيّ المسلم:

١) الإيمان الحق الصادق بالإسلام الذي يجعل المتصدين

للإصلاح صادقين معه، جادّين في طلبه وتحقيقه، لصدقهم مع الإسلام، وجدّهم في أمره والوفاء له، رساليين فعلاً في الدور السياسيّ الذي يقومون به، ومنشدّين بقوة للهدف الإصلاحي الذي يراه الإسلام وينادي به.

٢) الاحتماء بالتقوى عن خيانة النفس لصاحبها بحمله على ما يضرّ بمواصلة السير للإصلاح واستتمامه، أو يسبّب للحركة الإصلاحية التشوّه على يده.

٣) الأخذ بمرجعيّة الأحكام الشرعيّة من مصادرها المأذون بها في دين الله تبارك وتعالى تفصيلاً في كل قرار وموقف وأسلوب.

٤) الامتلاك للرؤية الإسلاميّة في أمر الحياة والإنسان والمصير والمجتمع المسلم ودور السياسة في هذا المجتمع، وما يدخل في إطارها من حقوق وواجبات، وثوابت ومتغيّرات، وللمنظور الإسلاميّ للثروة العامّة والخاصّة، ومعنى التملّك والخطوط العريضة على الأقل في تقسيم الثروة من النوع الأول، وأن يكون ذلك بدرجة جيدة تُمكّن من بصيرة واقية من الشطط عن الإسلام فيما يتعلق بطلب الإصلاح وإشادته، وعن الانخداع بما يسمّى بالإصلاح وهو بعيد عن حقيقته ويعاكسه.

ثمَّ إنّ كلاً من الإعداد العام والخاص الذي ينبغي للسياسي المسلم إنّما التوفّر عليه بقدر ما تتّسع له إمكانات الشخص، فأن يستوفي شخص واحد أيّاً كان كل ما يطلب على طريق الإصلاح في مرحلة المطالبة به، ومرحلة تطبيقه، من إعداد لا يمكن أن يدّعيه أحد، أو يكلّف به أحد؛ فلا كامل في ذلك إلا المعصوم.

وإنّما المعقول وما يُطالب به الساعون لإقامة الإصلاح من غيرهم، ويُطالبون به هم أنفسهم هو أن هذه الجماعة عليها أن تتوفّر على ما يتطلّبُه طلب الإصلاح، والقيامُ بمهمّاته من خبرة وعلم ودراية وكفاءات نظرية وعملية وقدرات متعدّدة بكيانها المجموعي، وبالصورة التي يؤدّي إليها تكامل تخصّصات الأفراد وقدراتهم المتميّزة المتمايزة وجهودهم المتوزّعة.

وهذه هي الحالة الطبيعية فيما تتطلبه الحياة الاجتماعية في حقولها المتعدّدة في كلّ الدنيا، وفي كلّ المجتمعات.

ثالثاً: كلمة عامة في ضرورة الإعداد

١ـ إعداد الإنسان وفي كل مراحله لا بدَّ فيه من تحمّل العناء، وإذا كانت أجواء الإعداد للإنسان في مرحلة الطفولة أجواء رحيمة، فإنّ أجواء إعداده من بعد ذلك من بينها أجواء قاسية تفرض نفسها عليه فرضاً لا مخلّص له منه.

ولتربيته وإعداده لا بدَّ له من معاناة وتعب ومكابدة.

على أن تربية الطفولة ورغم الأجواء الرحيمة والعناية التي تحيط بها عادة فيها مكابدة وتعب ومعاناة.

وإذا كان الإنسان وهو طفل يتولّى غيرُه مسؤولية إعداده وتربيته فإنه من بعد ذلك يتحمل مسؤولية ذلك بنفسه.

فلا بدَّ أن نعلم أنه لا رجولة، ولا اشتداد قوىً، ولا نضج عقل، وتحقّق رشد، وبناء نفس، وتراكم خبرة لفرد، أو شعب، أو أمّة من غير خوض تجارب مُرّة، متحديّة، ومواجهة صعاب جمّة تتجلّى من مواجهتها مواهب الذات؛ ذات الفرد والجماعة والشعب والأمة وما هم عليه من إمكانات ومخزون فطري من ذلك.

٢ـ تربية الصحارى غير تربية الخدور، وتربية الجبال غير تربية السهول، وخريجو الصعاب غير خريجي الدلال، والنظرية

وحدها من غير تجارب المجاهدة والبناء والكفاح لا تصنع الرجال.

ولا يصلبُ عود فرد ولا شعب ولا أمة إلا من خلال مواجهة المحن، والصبر عليها، وخوض مرّ التجارب بجَلَد كبير وصبر لا يلين، والشجرة لا تبسق وتقوى على مقاومة الرياح إلا بمكافحة الموانع ومقارعتها لتغوص بجذورها إلى الأعماق، والشجرة البريّة كما في النقل عن أمير الفكر والجهاد والبيان أصلب عوداً وأشدّ وقوداً، وما ذلك لصعوبة الظروف التي تواجهها، وتحاول كل حياتها أن تنتصر عليها.

والذين عاشوا ما مضى من حياتهم معاناة الكفاح مع الأحداث والتمرّد على الصعاب لا يردهم عن أهدافهم الكبيرة النبيلة التي آمنوا بها أن يطول الطريق وتشتدّ التحديّات، ويترادف هول، وتتضاعف تتصاعد كلفة.

وذلك على خلاف من عاشوا ماضيهم في أحضان الأجواء المريحة، وحياة الترف والدلال.

فلئن كانت المحن قاسية مرهقة لكنها تصنع ممن يصبر عليها الرجال، ويتخرج على يدها مشاهير أهل الكفاءة والبطولة وذوي الأمجاد.

إن الشدائد ومواجهتها بصبر ومجاهدة هي الطريق الوحيد لاشتداد العزيمة، وقوّة الإرادة، والقدرة على المضيّ مستقيماً على طريق الهدف الكبير.

هذه هي لغة الواقع التي لا تمارى، ومنطق الحياة الذي لا يكذَّبُ، وقدر الإنسان الذي لا محيد عنه.

والحياة بلا إرادة قويَّة مقاومة، وعزيمة شديدة المضيّ على طريق الخير والبناء الصالح حياةٌ بوارٌ، لا ربح لها دنيا ولا آخرة.

والأضعف من بين النّاس في كلّ زمان من كلّ الأمم هم الذين لا يقبلون شيئاً من الصعاب، ويفرون من مواجهتها، ويرضون في سبيل الراحة بأرخص حياة، وأحقر حياة، وأذلّ حياة.

هؤلاء هم الأضعف مقاومة، والأشدّ هشاشة، والأكثر عرضة للتحطُّم أمام المتغيرات المضادَة التي لا يدخل عندهم في العادة لها حساب.

تَذكُّرُنا لهذه الحقائق واستحضارنا لها دائماً يعين على مجاهدة ضعف النفس وحبِّها للاسترخاء الذي يحجبها عن الكمال، ويعين على قبول الشدائد ومواجهتها، والصبر على طريق البناء للذات والخارج رغم كثرة المتاعب والصعاب؛ ولذلك جاء التذكير بها...

رابعاً: البذل والإعداد وزناً من وزن الهدف

الأهداف التي تتحرك إرادة الإنسان اتجاهها متنوعة، ومتفاوتة أهميّةً وسعةً وامتداداً في أمدها، وقد تكون ضخمة حجماً وأثراً، وقد تكون ذات قيمة في نفس طالبها ولكنّها عنده دون ذلك.

وقد يكون الطريق إلى الهدف مفتوحاً بدرجة مريحة وقد يكون مليئاً بالعوائق والعرقلات. وهذا التفاوت والإختلاف بين الأهداف لا بدَّ أن يُفاوتَ بين ما تتطلبه من درجة الإعداد والبذل في أكثر من ناحية.

١ـ هناك أهداف ونتائج آنية، وأخرى ممتدّة.

٢ـ فردَية، وعامة، وهذه تختلف في إطار عمومها فمن هدف جماعة إلى هدف شعب إلى هدف أمّة.

٣ـ سطحيَّة، وجذرية تتأثر بها وجوداً وعدماً مصالح عادية أو مصالح عميقة أساس.

٤ـ دنيوية، ومشتركة ذات امتداد يشمل كلاً من الدنيا والآخرة.

٥ـ هدف يتركَّز على الإصلاح المادي لمنزل صغير أو كبير، أو للبنية التحتيَّة لبلد من هذه السعة أو تلك السعة، هدف يتصل

بتغيير أو إصلاح للوضع الاقتصادي لبلد معين، أو التغيير الشامل لأوضاعه كلها، هدف من طموحه تغيير حياة العالم من نمطها الحاضر إلى نمط جديد يأخذ بمنهجيَّة جديدة تغاير منهجيَّته القائمة في الأساس.

ودرجة الإعداد والبذل، والقوى المجتمعة في رأيها على التغيير، ومستوى القيادة على طريق هذا الهدف أو ذاك درجة مختلفة بين هذه الأهداف المطلوبة اختلافاً بيّناً شاسعاً، فما يتطلّبه هذا الهدف من درجة الإعداد والبذل وغيره يتطلب الهدف الآخر ما هو أكبر منها.

وإذا كانت الأهداف الكبيرة التي تمسُّ مصالح الكثيرين سلباً - ولو حسبما يتصورون- الطريقُ إليها أطول، وتعقيدات طريقها أكثر، والمضادّون لها أعدادهم وإمكاناتهم هائلة، فكل ذلك يفرض نفسه على درجة ما يتطلبه الوصول إليها من إعداد، ونوع قوى وعدد الطامحين للتغيير، الباذلين بصدق في سبيله، وما هم عليه من طول نفس في الصبر والانتظار له.

خامساً: شعبنا ومطلبه الإصلاحي وحركته

١ـ حراك هذا الشعب وهو إصلاحي؛ بدأ كذلك واستمر كما بدأ، ويجب أن يبقى كما كان لا يخسر من هذا الوصف شيئاً ولا يضعف انشداده إليه وتمسكه به.

٢ـ المستهدف لهذا الحراك إنما هي المصلحة لجميع أبناء الوطن وبناته مؤيدين كانوا للحراك أو غير ذلك. المطلوب الحفاظ على مصلحتهم، ضمان أمنهم ورخائهم، أن تسود أجواء المحبة والاحترام والتفاهم بينهم بعيداً عن البغضاء والحقد وما يستتبعه ذلك من انقسامات عمليّة حادّة وتوترات، ومستهدف لهذا الحراك أن تُمتّن وحدة هذا المجتمع المسلم.

٣ـ وقد نشأ سلمياًّ وأدواته سلميّة، وعليه أن يبقى كذلك، وقد بقي مدَة ما أمضى من سنوات بحسب طابعه العام بهذا الوصف.

٤ـ هناك عدَة أمور في هذا الحراك إذا لوحظت أفضت في النظر إلى مقتضاها الخاص، والنتيجة التي لا بدَّ أن يؤخذ بها.

مطلب هذا الحراك هو الحل لمشكلات هذا الوطن حلاً إصلاحيّاً لا مؤقتاً ولا سطحيّاً أو شكليّاً. مطلب لا ينظر إلى مصلحة فرد، أو عائلة، أو فئة، أو طائفة، أو طبقة، على حساب طرف مقابل، أو إهماله.

وهو شامل في النظر إلى الإنسان في داخله ومضمونه، وإلى أوضاعه الحياتية كلّها، وحقّه من هو إنسان، وهو مواطن في حياة مريحة كريمة.

وحراك من هذا النوع، وفي أوضاع يسودها حالة من الفساد المربح لعدد غير قليل حسب تصورهم الخاطئ الذي مكنت له في عقليتهم ونفسيتهم أوضاع الفساد نفسه وأجواؤه لا بدَّ أن يجد من هؤلاء من يقف في وجهه بشراسة واستئساد وقوة، وإن كان بطبيعته وحسب النظر الموضوعي الدقيق والرؤية الحقيقية لإنسانية الإنسان وما تقتضيه من مصلحة قريبة وبعيدة يصبّ في مصلحة الجميع ويحافظ عليها.

فالإنسان ليس بدناً فحسب، ولا حيواناً بهيمياً حتى تتمثل كلّ حاجته وسعادته في إشباع البطن وما ماثل، وأن يستجمع من هذا الزاد مُبالغاً في ذلك ما يفوق حاجته بمرّات ومرّات ولو على حساب لقمة الآخرين وحاجاتهم في إهمال كامل لما يرتبط بالروح من حاجات.

وهذا الحراك فيه أكثر من طرف، وأكثر من توجّه، وإن كان ذلك في إطار الإصلاح وكلّ طرف له حسابه، وله اجتهاده وتقييمه، وملاحظاته.

فلكل ما تقدم تكون لهذا الحراك تعقيداته، وصعوباته المتميّزة،

فيتطلب لملمة للجهود وتنسيقها على طريق الرشد، وفي ضوء الحكم الشرعيّ الفقهي، والمصلحة الوطنية المشتركة، ووحدة المجتمع الواحد، والشعب الواحد، وما يجنّبه ارتكاب الخسائر الكبيرة بقدر المستطاع إذ الخسائر نفسها ومضاعفاتها ليست مطلباً عقلياً ولا عقلائياً أبداً، ولا يمكن لعاقل أن يطلبها.

ويتطلب هذا الحراك درجة عالية من الحكمة، والحنكة والذكاء والتنبّه، ودقة النظر وجودة الإدارة، والعلاقات الموسعة المدروسة التي تخدمه، والرّوح الإنفتاحية بما يصبّ في مصلحته وينسجم مع أسسه وثوابته، كما يحتاج إلى الصبر الطويل والعمل الجادّ في رزانة وحضور فكر، وصبر طويل مرير.

سادساً: عوائق الطريق

نعم هناك عوائق وعقبات في طريق الحراك وهدفه الإصلاحي على أهميّته وضرورته.

- هناك الانقسام بين الشعب والحكومة عليه، فالطرف الأول وهو يصرّ عليه ويرى ضرورته، والطرف الثاني ينكر الحاجة إليه ويجرّم عملياً المطالبة به، والبون على هذا شاسع بين الطرفين.

- تعدّد الجمعيات السياسيّة المعارضة، والخطوط التي يجمعها عنوان الحراك من غير أن يوحّد اتجاهاتها، وكلّ أساليبها، وسقوفها.

ولكل منها خططه وتصرفاته ممّا يختاره لكونه الأنسبَ في نظره وقد يحصل عليه التلاقي، وقد يكون محل اختلاف.

- مصالح دول، وهواجس دول، وتدخلات دول. ولذلك تأثيراته الخاصة على تحقيق مطلب الإصلاح.

- أجواء طائفيَة مسمَّمة إلى حدٍّ الإشباع تغطي مساحة الأمّة كلها، ولها انعكاسها على قضية الإصلاح التي تطالب بها الشعوب؛ حيث تخلق طبيعة هذه الأجواء مجالاً واسعاً للنشاط الإعلامي المضادّ للإصلاح لاستغلالها بإثارة الشكّ والريبة في البلدان التي تشهد ثنائية مذهبيّة عند هذا الطرف أو ذاك في صدق النوايا من

شعار الإصلاح والتحرّك في طريقه ممّا يتبناه الطرف الآخر. وحيث توجد هذه الأجواء المرَضيّة هواجس غير موضوعية عند طرف معيّن أنه المستهدف بالإضرار والغبن والتهميش والحرمان من دعوة الآخر للإصلاح وحراكه على طريقه. خاصّةً وأن الطرف المتحرّك يعاني فعلاً من التهميش والغبن والحرمان وبصورة يعلمها الجميع.

- موجة إرهابية واسعة وجنونية جنوناً يعيش حالة متطرفةً جداً من الهيجان.

موجة كذلك تزلزل أرض الأمة تغطّي سماءها وتطال البرَّ والبحر، وتمتدّ خارج الحدود وتعبر المحيطات لترعب العالم كلَه، ويمتدّ لهبها ليحرق أكثر من أرض بلا تمييز.

وهذا يفتح فرصة أخرى، وذريعة لمن يعادي الإصلاح ويرى فيه نقيضاً لمصلحته للاستغلال السيء بإلصاق تهمة الإرهاب بأي حركة إصلاحية سلمية وذات هدف عادل عقلائي نظيف وفيه مراعاة لمصلحة الجميع.

الإعلام المعادي ومن ورائه السياسة المعادية تمكنها موجة الإرهاب الجنوني الظالم من تصنيف أيّ حركة إصلاحيّة سلمية بأنها من الإرهاب الدمويّ المجرم.

- هناك أساليب البطش وشراء الذِّمم الرخيصة وتجنيدها

لمحاربة الإصلاح مما يصعّب أمام الكثيرين الانخراط في الحراك من أجله، أو إعلان الرأي الداعم له، ويرتد بإرادتهم عن الإقدام على ذلك طلباً للسلامة من البطش والتجريم والعقوبة.

هل من معادل؟

نعم هناك تلك العوائق، ونعم كذلك أن هناك حقائق يعطي تذكرها الثبات على طريق طلب الإصلاح والإصرار عليه، ويعطي الفرصة لنجاحه.

١ـ كلّ الشعوب والتجارب التي سارت على طريق التغيير، وطلب الإصلاح واجهت نوعاً، وأكثر من نوع من الصعوبات والعقبات الشاقة والمعرقلة، وكان من زادها الأكبر في مغالبة ما واجهها من ذلك والانتصار عليه صلابة الإرادة وقوّة التصميم، والصبر الطويل، والنفس الذي لا ينقطع، والتضحيات المكلفة.

٢ـ إن الشعوب والأمم التي انطلقت في حركتها الإصلاحيّة مدركة ابتداءً واستمراراً أن للإصلاح طريقا متعباً، لا يواجه إلا بالصبر والعزيمة التي لا تلين والعمل المتواصل والجهد الكبير، والعطاء السخي، وكما عرفت هذا الثمن للإصلاح أعطته ولم تشح عطاءً لم يخب سعيها، ولم تفشل، وحقّقت الكثير ممّا كانت تريد.

وما كان يتمّ لها ذلك لولا ذلك العزم، وذلك الصبر والعطاء.

٣ـ إنَّ فوق الأسباب المعاندة المنظورة، والظروف المضادّة أسباباً حاكمة لا محكومة، ولا مقهورة، ولا مغلوبة ولا مردودة لا نفادَ لها عند الله مالك كل سبب، ومسبّب كل سبب. وهذا ما لا يليق بالإنسان المؤمن، والشعب المؤمن أن يغيب عن فكره وشعوره لحظة واحدة، أو يدخله فيه شك، أو يساور نفسه ريبة.

٤ـ إنَّ الله عزّ وجلّ قد وعد بنصر من انتصر له سبحانه، وأخلص القصد إليه، ولم يقصِّر في سعيه، ولم ينحرف فيه عمّا يرضيه، وليس وعد الله محلاً لأيّ شك في النفس المؤمنة، ولا يداخل هذا النفس ممّا وعد الله يأس.

٥ـ للإنسان المؤمن في أدائه للتكليف الإلهي له ممّا أناطه به طبقاً لشريعته ربحاً فوق كل ربح، ويغنيه عن كل ربح من أرباح دنياه ممّا يتطلّع إليه حتّى فرصة النصر وما يعنيه من فرج بعد الشدّة، وسعةٍ بعد الضيق.

٦ـ إنَّ ما على الإنسان أن يستمر وفيّاً للتكليف الإلهي المتوجّه إليه؛ القائم شرطُه وموضوعُه. أمّا تحقيق النصر مع عدم التقصير في طلبه، والعطاء من أجله، وعدم الإخلال بما يتطلّبه فليس من مسؤوليته.

٧ـ إنَّ التعجيل بالنصر الإلهي، أو إرجاؤه لا يأتي جزافاً، ولا خارج المصلحة لعباده المخلصين له. فَرُبَّ تعجيلٍ للنصر انقلب

هزيمة، وارتدّ بسوءٍ، وربَّ تأخيرٍ له كان عائدهُ به واسعاً كبيراً، وخيراً كثيراً مقيماً.

٨ـ لا تضمن جماعة أو شعب من نفسه أنَّه قد وفى تماماً بشرط النصر من صدق مع الله، وإخلاص في النيّة، وبذل كل الجهد الممكن في توفير المقدمات.

فتأخر النصر، الموقفُ الصحيح منه عند الشعب المؤمن أن يراجع نفسه في كلّ ذلك، لا أن يستبطئ النصر، ويدخله اليأس، ويتراجع في درجة البذل.

سابعاً: الحراك مستمر

الحراك الإصلاحي في البحرين بسلميّته، وعقلانيّته، وحكمته، وهدفه النظيف، وانفتاحه على مصلحة الجميع مستمر، وذلك لأسباب:

١- انطلق هذا الحراك من معاناة لم يرتفع سببها بل شهد ما زاده بشاعة، وتضاعفت وكبرت بذلك المعاناة المترتبة عليه. وكونه كذلك، وزيادة المعاناة بسببه التي يتحمّلها غير الشعب لا يتيح للحراك الذي انطلق لمعالجته والتخلّص منه أن يتوقف.

٢- الإيمان بقيمة الإصلاح وضرورته يدفع للصبر على الاستمرار في طلبه والبذل في سبيله.

٣- اطمئنان المتحركين من أجل الإصلاح إلى سلامة ما هم عليه من قصد، وعدم استهداف أحد بظلم، أو إرادة سوء بشبر من أرض الوطن، أو إضرار بكثير أو قليل من ثروته.

كل ذلك يثبّت قدمهم على طريق طلب الإصلاح والجدّ في طلبه.

٤- ما كان هذا الحراك في بداية انطلاقته بتوجيه أو دعم من خارج، وإنما كان من شعورٍ أثقله مناخ الفساد، وآلمه ضغطه على دين الشعب ودنياه، ونال من عزّته، وأهان كرامته.

ولذلك لا تكفي كلمات من داخل أو خارج تنصح بتوقف الحراك -لو كانت- لتوقفه والجراح لا زالت نازفة.

وانطلق هذا الحراك لا بدعمٍ حتّى يَتوقع اليومَ الدعم متوقفاً في استمراره عليه.

٥ـ انطلق هذا الحراك ولم يكن من الظروف يوم انطلاقته ما يغري به ممّا يدور في المحيط والعالم، خاصّة وأن انطلاقته كانت سبّاقة وقبل حراك الساحة العربية وقبل العام ٢٠١١ بسنوات.

وإذا كان للحراك هذا الإقدام في بدايته فلا جديد من هذه الجهة يغير من استمراره ما دام لم يتحقق هدفه.

وجديد الساحة العربية هو ما أطلق عليه الربيع العربي، وهو لا يُوهن من إرادة الإصلاح عند أي شعب، وإنما يعزّز منها.

والصوت العالمي اليومَ فيه وضوح ونبرة عالية بإظهار حاجة هذا الوطن للإصلاح وضرورته، في إدراك لضرورة الإصلاح السياسي فيه.

٦ـ أمر الاستمرار لهذه الحركة من بعد إذن الله عز وجل وقضائه مربوط بالدرجة الأساس بإرادة هذا الشعب لا حجم إمكاناته التي لم تكن في بدايتها كذلك.

والإرادة الحرَّة لهذا الشعب برهنت، ولا تزال تبرهن على عدم

استسلامها للواقع المرّ المتنافي مع كرامة الإنسان، وحقوق المواطنة.

وهو واقع مرهون في بقائه وبقاء كل المشاكل التي يفرزها بغياب الإصلاح، ولا يرفعه ولا يرفع تلك المشاكل إلا الإصلاح الجادّ الحقيقي.

والحقُّ أن هذا الواقع والمشاكل التي يفرزها مأساة الوطن بكامله بشعبه وسلطته، وهو واقع يجب أن يتفق الجميع على التخلص منه.

٧ـ قناعة هذا الشعب بأن الاستسلام لهذا الواقع ومشاكله سيزيد من حجم المشاكل، ويضاعف من المأساة والعذابات.

٨ـ وهذا الشعب مدرك أن الشعوب في حراكاتها إذا أتعب بعض النفوس من أبنائها طول المسير، وارتفاع الكلفة فتراجع بها تعبها عن المواصلة، ولدت فيها نفوس تتحمل التعب المضني، ولا يتراجع بها عن هدفها أن يتضاعف التعب، ويتنوَّع، ويشهد الجديد.

وتجربة الشعب سبقتها تجارب ماضية من تجارب الشعوب والأجيال لها مثل هذا الدرس وهذا التعليم لما يلي حركتها من حركات، كما ستلحقها تجارب أخرى تبرهن على هذا الدرس.

على أنَّ الحراك في البحرين ليس الحراك الدمويّ الذي يهون عليه دم الآخر. فالصحيح ألا يهون دم أحد من أهله على الآخرين.

٩ـ شعوب في العالم لم تتربَّ على الإسلام، ولم يكن لها وعي من وعيه، ولا شعور من الشعور الخاص المتميّز بالعزّة الإيمانية والكرامة العالية مما يغرسه في النفس المسلمة، ويوجب على المسلم أن يرعاه ويحافظ عليه، ويعزّز وجوده في نفسه؛ بطلب قوة الإيمان وهداه، ولا تعيش حسّ المسؤولية الرسالية الذي يجب أن يُغني نفس المسلم، ويفرض نفسه على مواقفه وسلوكه.

شعوب كهذه يجعلها حسّها الإنساني، وآلامها من جرّاء ما تعانيه من ظلم السياسة تتحمّل فوق ما هي عليه من آلامٍ إضافية إذا تطلب ذلك السعي للإصلاح والتغيير تلمّساً للخلاص والإنقاذ ممّا هي فيه من معاناة الظلم والذلّ المنافي لكرامة الإنسان، والواقع الكئيب المرهق المسبّب للآلام.

هذا حال شعوب ليست كحال هذا الشعب في انتمائه للإسلام، وارتوائه بروح العزّة والكرامة التي ينتجها هذا الانتماء بمقدار ما يصدق، ويكون جاداً وحقيقياً.

إنه ليستحيل على شعب له صلة بالتربية الإسلامية، وله صدقه مع الإسلام، وحسّه الإسلامي، ووعي من وعي هذا الدّين، وروح عزّة من عزّته أن يتخلّى عن حقّه في الاحتفاظ بالكرامة وعن حقوقه التي لا يصحّ في الدّين أن تضيع وهو قادر على استردادها ولو بالتضحيات العظيمة، وسلوك الطريق الطويل الشائك إليها.

١٠ـ لا بدَّ أن يدرك الآخرون -إن لم يدركوا حتى الآن ولا يُظنُّ ذلك- أن نوع الإرادة التي يتمتع بها هذا الشعب من غرس إسلامه، ودرجة اليقظة والإيمان بقضيته والإصرار عليها وهي قضية الإصلاح غير قابلة للتراجع، وأنه لا يمكن أن يُقدِّم على كرامته عافيةَ بدنه، لكي تبقى له سنوات أو أيام من سنوات، وأيامُ هذه الحياة التي لا تساوي شيئاً من حياة أخروية قادمة حتماً حافلة بالسعادة لمن عمل لها، وعرف الطريق الصحيح إليها والتزمه، حياة أبدية لا يمكن أن تكافئها هذه الحياة التي قد تكون نهايتها على مسافة قريبة من يوم الإنسان أو ساعته.

وهذا الإدراك الذي لا بدَّ منه عند الآخرين يقطع كل أمل، وكلَ احتمال عندهم بتراجع هذا الشعب عن مطلب الإصلاح الذي يرى في التنازل عنه ضياع حقِّه، وذهاب كرامته، ونسيان عزته.

على أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو ما يعتمده الحراك الإصلاحي من أسلوب في عمله لا يقطع رزقا، ولا يقرِّب أجلاً.

١١ـ إن أناس هذا الشعب ممَن انطلقت الحركة المطالبة بالإصلاح السلمية النظيفة نية وهدفاً، ومن الذين ناصروها وهي مستمرة بجهودهم، وهم ضحايا ما تُقابَل به من عنف لم يجبرها أحد على انطلاقتها أو مناصرتها، ولم يكن أملهم من كل ما يعطون،

ويتعبون، ويضحّون ثواباً من أحد إلا الثواب من الواحد الأحد، وكفى به ثواباً وأجراً وعظيماً.

١٢ـ وأمّا النصر بتحقق الإصلاح المرضي لله سبحانه، والمنقذ من المأساة فاعتماد المؤمن فيه على وعد من الله غير مكذوب بنصر من نصره.

وإيمان هذا الشعب بوعد الله وصدقه ثابت، فلا يأس يوقفه عن مواصلة الطريق إلى الإصلاح الذي ينشده. وكلّ المطلوب هو الإصلاح لا غير، والإصلاح فيه خيرُ الجميع.

وبقاء هذا الإيمان فيه البقاء للأمل الذي يلازمه، ويقوم عليه.

ولا يمكن أن يُحبط أملاً هذا منشؤه، ومنبعه، ومددُه أن يرى المؤمن أسباباً ظاهرية، وظروفاً معينة قائمة غير ملائمة ممّا يضادّ أمل النصر المرتبط بالأسباب المنظورة؛ لأن المؤمن عارف متيقّن بأن كلّ الأسباب محكومة لإرادة الله، وكلّ شيء خاضع لمشيئته، وأنه ﷻ مسبّب الأسباب من غير سبب.

وما على الإنسان المؤمن إلا أن يلاحظ استمرار التكليف ليستمر في جهاده متوخيّاً الطريق الأنجع والأيسر والأبعد عن الخسائر التي لا داعي لها؛ الطريق الذي شرّع الله صحته للوصول للنتيجة المرضيّة التي كان عليه أن يطلبها.

١٣ـ وبشأن المطلب السياسيّ بخصوصه فما يجعل الشعب يتمسك به بقوة وينظر إليه مطلباً رئيساً لأنَّ في تحقّقه التحقق لصلاح الجوانب الأخرى والتخلّص من وجوه الفساد المتعدّدة التي يئنّ منها الوطن، وتُقلق وضع المواطن، وتحرمه لذة الحياة، وفي غيابه غياب للإصلاح فيها كلها، فصلاح السياسة المنبع العملي لكل صلاح آخر، وكلٌّ فساد في أيّ وطن من الأوطان مردُّه فساد السياسة فيه.

وما هو السبب لصلاح السياسة وفسادها أن تهتدي بهدي الدّين الحقّ أو تعاكسه.

إنَّ تعافي الوطن من كلِّ مشاكله مرتبط حقّاً بالإصلاح السياسيّ، ومن دون ذلك لا يتمّ إصلاح ولا يكون تخلّص من الظلم والأزمات.

ماذا تستحق هذه المعارضة؟

في البحرين معارضة عريضة، ومعارضون كثيرون يملأون مواقع متقدمة فيها، والمواقع الأخرى، وهذه صفتهم وصفة المعارضة التي اختاروها ويدعون إليها، ويقودونها، ويشاركون فيها:

يصرّون على السلمية، ويشدّدون عليها، ويلحّون سرّاً وعلناً في الدعوة إليها، وعلى عدم مبارحتها.

يرفضون لأي قطرة دم أن تُسال ظلماً على أرض الوطن لأي مواطن أو مقيم أيّاً كان، ولأيٍّ عَرْضٍ أن يمس أو يخدش، ولأيٍّ فَلْس أن يغتصب أو يهدر -من ثروة عامة أو خاصة- ويعتدى عليه.

يطالبون بنظافة الكلمة والتعفف عن السبّ والشتم واللغة البذيئة والابتعاد عن الشعارات التي لا تتصل بمطلب الإصلاح.

يطالبون بأن لا يبخس أحد حقه ممّن على أرض هذا الوطن من مواطنيه بلا تمييز بين طائفة وأخرى، أو قبيلة وقبيلة، أو قوميّة وقوميّة، وأن ينال كل ذي حقّ حقّه قانوناً وعملاً.

ويأبون أن تكون البحرين مكاناً لظلم أحد ممّن يقيمون فيها وأيّ تعدّ وأذى.

يشدّدون دائماً على وحدة هذا الشعب، ويقفون في وجه أيّ دعوة للطائفية أو غيرها ممّا يضرّ بها ويسبب لها التصدّع، ويتغاضون عن الكثير من التصريحات المسيئة من جهة وأخرى متحمّلين ألم ذلك حفاظاً عليها.

ينأون بالبلد عن أن يكون رهينة بيد خارجيّة -أيّاً كانت- وعن أن تكون ورقة من أوراق المساومة في الصراعات المختلفة.

يدعون للحوار الجدّي المنتج المرّة بعد الأخرى مواصلين

الدَعوة إلى ذلك.

قبلوا ولأكثر من مرّة الدخول في حوار وآخر -لا يرون فيه الجدّية المطلوبة ولا النتائج المقبولة- فتحاً لجسور التواصل، ولم يُجدِ ذلك في حصول التفاهم والحوار المنشود.

يستجيبون للقوانين بقدر المستطاع ضاغطين على أنفسهم مع لومٍ من بعض أوساط الشعب، وهي قوانين خارجة على الدستور ومقررات حقوق الشعوب وحرية التعبير كحق التظاهر السلمي، والتجمعات السياسية والندوات من النوع نفسه مراعاة لتهدئة الأجواء، ونزع فتيل التوتر في حين أنّ هذه الأنشطة ليس فيها ما يقتضي ردّة فعل متوترة.

وانتهى الأمر من الجهة الرّسمية إلى الامتناع عن الترخيص لأيّ مسيرة ومظاهرة سلمية على مدى زمني طويل. وكأن ذلك في نظرها جريمة من الجرائم الكبرى التي لا يجوز أن يفتح أمامها طريق، وإلى أنَّ أيَ مسيرة ضرورية تخرج بعد اليأس من الترخيص تواجه بأشدٌ أنواع القمع، وتتبع ذلك التوقيفات والإعتقالات والمحاكمات والأحكام القاسية.

تنطلق أصواتهم وهم في معاناتهم الصعبة وراء القضبان لا عن إحساس بالضعف ولا لتساهل في القضية، ولا تملّقاً لأحد، ولا لرجاء عطف من السلطة، ولا لتبدّل في الرأي؛ تنطلق أصواتهم من

هناك وبصورة متكرِّرة بما كانوا يدعون إليه من قبل، ويؤمنون به، وأسمعوه جماهيرهم دائماً من التزام السلميّة ونبذ أسلوب العنف طلباً للنأي بهذا الوطن وحماية حاضره ومستقبله من هذه الآفة. هذا والعنف الموجّه إلى الشعب لا يكفّ، ولا يخفّ، ولا يتراجع.

ولم يبق إلا كلمة النقد وإبداء الرأي في أضيق صورة وهي ملاحقة كذلك ومحاسب عليها ولا تخلو من التعرض للعقوبة. وكم مَن في السجن لا سبب يَفرِض عليهم أن يُحرموا حقهم في الحرية ورؤية الأهل والولد، وأن تجري عليهم أحكام قاسية ليسوا أهلها إلا أن قالوا مثل تلك الكلمة!!

والكلُّ يعلم أنه حيث لا نقد ولا إيضاح لنوع الأخطاء والمظالم فلا وجود لمعارضة أساساً على الإطلاق.

فما يُعامل به الأسلوب السلمي لإظهار المعارضة لأخطاء السياسة ومنزلقاتها، وكلمة النقد التي تناقش هذه المساوئ السياسية من ردَة فعل مشددةٍ لا تأتي إلا قبال الجرائم الشنيعة، يعني تماماً الرفض لوجود أصل أيّ معارضة.

وهل من إمكان في عالم اليوم أنّ يُقرَّ هذا الرفض، ويَحكُم واقع الشعوب والأوطان.

ألا يقول واقع العالم كلّه اليوم إن هذا مستحيل؟!!

المعارضة التي تقدَّم وصفها، والمعارضون المتزعمون لها، ماذا تستحق وماذا يستحقون عقلاً وعقلانياً ودينياً، وحسب المصلحة الوطنية العامّة؟

هنا فروض:

- الإهمالُ وعدم الاكتراث، وكأنَّ لا شيء على الاطلاق.
- القمع والتنكيل والعقوبة المشددة.
- الحوار والتفاهم والسعي الجادّ للتوصّل إلى الحل الذي يتطلبه صلاح الوطن، وهو لصالح الجميع، لا الحل المسكّن وقتيًّا فضلاً عن الحلول الإعلاميّة الشكلية الزائفة.

الفرض الأول:

يُبقي المشكلة ويضاعفها، ويزيدها تعمّقاً ورسوخاً، وإهمال الأمراض لا يعالجها. والإعراض عن المشاكل الجدّية الضخمة يفاقم من حدّتها ويزيد في انتشارها.

وإنكار أن هنا مشكلة من هذا النوع إنكار للشمس الطالعة وقت الظهيرة.

وواقع السنوات الماضية شاهد على أنَّ المشكلة القائمة لا تنسى.

الفرض الثاني:

وهو الحاضر بقوةٍ في ساحة هذا الوطن والتجربة التي يعيشها الحراك الإصلاحي من ناحية الرّد الرسمي في التعامل معه.

وهو أسلوب قد برهن على فشله في الساحة المحلية وفي العديد من ساحات المطالبة بالإصلاح والتغيير.

وهو أسلوب يدمّر وحدة المجتمعات، ويتأخر بالأوطان، ويتراجع بها إلى الوراء إلى مسافات، ويأتي على البنى التحتية للبلدان، ولا يزيد النار إلا استعاراً، ولا يضيف إلى حركات الإصلاح والتغيير إلا اشتداداً وإصراراً، ويخلق أجيالاً ناقمة، ودفعات من ردود الفعل غير المحسوبة، ويباعد المسافة إلى حدٍّ شاسع بين السلطات والشعوب، ويمتدّ لهبُه إلى ما هو أبعد من الحدود، ويغيّب موازين الدّين والعقل عند الكثير، ويعطي حكم الإرادة والفعل للعاطفة.

ويفعل مع هذا كلّه ما هو أكثر وأكثر من السوء والخسائر.

وهل يقدم -عاقل، وصاحب دين، ومراع لمصلحة نفسه الحقيقية، ومصلحة وطنه وأمّته، محترمٌ للإنسان وحق الحياة، شاعرٌ بقيمة الحرّية والكرامة- على فعلٍ، خيارٍ، أسلوبٍ يؤدي إلى كلٍّ ذلك، خاصة وأنَّ الطرف الآخر ليس من منهجه العنف وكل دعوته للسلميّة؟!

الفرض الثالث:

وهو الحوار والتفاهم مع صدق النيّة للتوصل إلى حلٍّ مُريح للأوطان شعوباً وحكومات معاً. وهو فرض يهزأ به كثير من السلطات اغتراراً باختلاف ميزان القوّة في العادة بين الشعوب والحكومات، وهو اغترار كثيراً ما أدّى إلى الأسف وعدم قدرة صاحبه على التدارك.

والساحة العربية تؤدي شهادة بقوة على مستوى الواقع بأنَّ أيَّ فرض آخر تأخذ به السلطات في كل مواضع الصراع التي شهدت حدّة بالغة، وأسقطت كيانات، وأقامت الأحداث التي رافقتها كيانات أخرى مكانها، بأنَّ أيَّ أسلوب بديل لم يعط انتصاراً للسلطات السابقة، ولا تمكّناً ولا استقراراً للكيانات الجديدة ولم يُنه صراعاً، ولم يُطفِ ناراً، ولم يحل مشكلة وطن.

وأسلوب الحوار هو الأسلوب الذي لا زال كثير من السلطات يستكبر عليه، ويدير وجهه عنه، أو يتخذه وسيلة للمماطلة تفتيشاً عن فرصة لضربة قاصمة وظروف مواتية لارتكاب أكبر العنف في تصفية المعارضة والمعارضين، وإذ أذعنت سلطة من السلطات لأسلوب الحوار لا تذعن إليه إلا في الظروف الإضطرارية القاهرة، وبعد فوات الأوان في الغالب.

الآن أيّاً من الفروض الثلاثة، والأساليب الثلاثة تستحقه المعارضة في البحرين والتي تَقدَّم وصف ما هي عليه، وما عليه

قياداتها وأصحاب المواقع المتقدمة في صفوفها؟

السؤال مطروح على الدّين، على العقل والعقلاء، على السياسة الصالحة، على مقتضى المصلحة الوطنية المشتركة، على نظر العرف السليم، على الرأي المتزن، على الضمير، على مختلف المنظمات الحقوقية والإنسانية والمجامع الدولية، وعلى الأمم المتحدة، على الدول المنصفة، على الرأي العالمي المحايد.

الوجدان الإنساني يسلب الوصف عن كل واحد من هذه القائمة المستفتاة لو جاءت إجابته باختيار غير الحوار الجادّ لا الإلهائي، ولا المزْحي، ولا السطحي، ولا الخداعي، ولا التسويفي، ولا الاستغلالي والاستغفالي ولإظهار التذاكي على المعارضة.

يسلب عن دين يذهب إلى اختيار الإهمال أو العنف في التعامل مع معارضة إصلاحية سلمية ناقدة للعنف والكراهية وحرمان أو تهميش طائفة، أو فئة وطبقة، وأيّ مكوّن من مكوّنات الشعب؛ يسلب عنه وصف الدّين، أو الدّين الحقّ.

إنَّ النصيحة الصادقة لكلّ سلطات الأمة وحكوماتها بل سلطات العالم وحكوماته جميعاً أن تدير وجهها عمَّا عدا أسلوب الحوار الجادّ وتستدبره كاملاً لتركّز النظر كلّه في اختلافاتها مع الشعوب فيما يتّصل بسياستها معها وقضية ما للشعوب من حقوق وعليها من واجبات على أسلوب الحوار لا غير، وإلا غرقت الأوطان والأرض كلها في محيط من الحروب والفتن التي لا نجاة

منها.

وآخر ما أوصي به المعارضة السلمية في وطننا البحرين مشدَداً عليه -وكما هو المعتاد- عدم المفارقة لمنهج السلمية، وأن يكون الإصرار عليه قوياً وبدرجة إصرار الشعب ومعارضته وحراكه على مطلب الإصلاح، وعدم التراجع عنه، وبدرجة بقائه الثابت على مواصلة الطريق إليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

وأن آمن ربّنا هذا البلد وأهله وزدنا وكلّ أوطان الأمّة وربوعها هدى وأمناً وسلاماً وبركات.